تطور الثورة التحريرية في الولاية السادسة 1956–1962من خلال الروايات الشفوية
(رواية المجاهد البار المبخوت مسؤول الناحية الثانية نموذجا)

أ. خيري الرزقي. أستاذ مشارك. جامعة محمد بوضياف – المسيلة– الجزائر.

الملخص:

كثيرا ماتهمل مادة علمية غزيرة وردت في الروايات الشفوية متعلقة بسير بعض الأحداث التاريخية، وتزداد خطورة هذا التجاهل إذا تعلق الأمر بالتاريخ المحلي، ومن هذه الروايات التي سردت تطور الثورة التحريرية في الولاية السادسة (جنوبالمسيلة) ما جاء على لسان المجاهد البار المبخوت والتي سجلها معه متحف المجاهد بالمسيلة.

فقد دارت أحداث الرواية حول محطات مهمة، وحاسمة في تاريخ الثورة بمنطقتنا، منها على الخصوص ما تعلق بتنظيم الولاية السادسة، وحركة بلونيس ومصير جماعته، وموقف عمر ادريس من تنظيم الولاية بعد قدوم العقيد الحواس من تونس، وقضية جمع التبرعات والتموين في الولاية، الى جانب الحديث عن أهم المسؤوليات التي تقلدها البار المبخوت، معرجا أيضا على قضية استشهاد العقيد الحواس وعميروش، وفي الأخير نقل لنا أجواء الفرحة بالاستقلال التي عمّت الولاية.

مقدمة:

تعتبر الروايات الشفوية حول أحداث الثورة التحريرية من المصادر التي تمكننا من تأريخ أحداث هذه الثورة في ظل غياب المصادر الأساسية مع إلزامية التعامل معها بطريقة علمية مبنية على النقد والتحليل والمقارنة اعتمادا على المادة الأرشيفية بالدرجة الأولى إذا كانت متوفرة.

وتزداد قيمة هذه الشهادات إذا كانت مأخوذة من أشخاص وقيادات ذات مستوى ثقافي وعلى قدر من المسؤولية لأن الروايات المأخوذة من العامة فغالبا ما تكون عن طريق النقل على شكل حكايات يغلب عليها الطابع الخيالي للراوي وقد تزيد أو تنقص من قيمة تلك الرواية.

ويتمحور الحديث حول شخصية من الشخصيات المجاهدة التي صنعت أحداث الثورة بالولاية السادسة التاريخية وخاصة القسمة رقم 39من الولاية (1) وهي رواية المجاهد البار المبخوت التي سجلها متحف المجاهد بالمسيلة بتاريخ 2013/12/20.

فقد التحق بالثورة سنة 1956 وشارك في عدة معارك واشتباكات ضد قوات الاحتلال الفرنسي،عمل مع عمر إدريس وسليمان لكحل والعقيد الحواس،كان مسؤولا للقسمة 39 بالناحية الثانية بالولاية السادسة للثورة ثم مسؤول الناحية الثانية سنة1961،حضر لقاءات عدة بالمنطقة الثالثة نظمها العقيد الحواس والتقى بكتيبة عمر إدريس والعقيد شعباني الذي رقي في تلك الفترة إلى مسؤول ناحية،كان مناهضا لحركة بلونيس التي ظهرت في المنطقة،تأثر بوفاة عمر إدريس كثيرا نظرا للعلاقة الوطيدة التي تربطهما إلى جانب تعامله مع الضابط الأول رابح بوجاجة وكذلك محمد شعباني مسؤول المنطقة الثالثة الذي يقول عنه "" كان إنسانا مؤدبا وعروبي و يحب الجزائر و العرب " عايش وقف إطلاق النار وفرحة الاستقلال بالجلفة،خرج من الحياة العسكرية في أكتوبر 1962ثم تأدية فريضة الحج .

1/تنظيم الولاية السادسة:

حسب الرواية محل الدراسة فان عمر إدريس لعب دورا بارزا في تنظيم الولاية السادسة من بوسعادة إلى آفلو وذلك بالاعتماد على أبناء المناطق عبر مرحلتين،ففي المرحلة الأولى ربط الاتصال بالشعب من أجل ضمان الاتصال الدائم وعدم انقطاع الأخبار والمرحلة الثانية فتعتمد على توفير المئونة وتأمينها للجيش،فقد قسم الولاية ووزع المهام وحدد المسؤوليات، فالبار المبخوت أرسل إلى مناطق منها أولاد قريب، أولاد عامر،وأولاد عطية مع مسؤول يدعى مباركي الهاشمي.

وعن صدى التعامل الشعبي مع هذا الحدث الجديد فقد كان جد ايجابي رغم وجود حركات مناوئة مثل جماعة بلونيس.

2/ كيفية التعامل مع بلونيس في الجلفة:

تعامل المجاهد البار المبخوت مع السيد شتوح العيساوي وهو أحد ضباط عمر إدريس وذهب معه إلى القرب من دار الشيوخ أين كانت جماعة تنتمي إلى بلونيس (2)وذلك سرا رفقة أربعة من المجاهدين ومعهم رسائل من عمر إدريس إلى الضباط الذين كانوا معه وانظموا إلى هذه الجماعة ومنهم يذكر بالاسم: عرعار بن علية،عطاوة سعد حيث تم تبليغ الرسائل لهم إما عن طريق أشخاص أو وضعها على أبواب البيوت ووصلت إلى بلونيس خاصة ومما جاء فيها: " أنتم خرجتم من دياركم من أجل القضية أين أنتم الآن ".

كان موقف بلونيس أن جمع الشعب في دار الشيوخ يوم السوق الأسبوعي وصرب عليهم عملية حصار مشدد ثم جيء بسعد عطاوة الذي كان ينوي الخروج من جيش بلونيس والالتحاق بالجبهة فقتلوه على مرأى من الناس من شدة العذاب إلى جانب شنق أشخاص آخرين منهم بدر الدين محمد الحفاف الذي وقف ضد بلونيس قائلا " هذا الشيء غير صحيح الذي نقوم به ".

وفي هذه الحادثة قتل ما يربو عن 100 شخص رميا بالرصاص وهرب عدد آخر منهم وذلك في شهر جوان 1958.

ويبدو أن بلونيس اتبع هذه الطريقة كرد فعل غرضه ترهيب السكان وردا على رسائل الجبهة في الولاية السادسة،وعلى إثر هذه الحادثة وقع انشقاق في صفوف جيش بلونيس فقتل منهم حوالي 200 شخص تابعين له إذ يرجح أن عدد جيشه آنذاك وصل إلى ما يفوق 1200جندي.

وبتاريخ 05جويلية 1958 تم إلقاء القبض على جندي في جيش بلونيس كان قادما من جهة أولاد عامر ومعه سبعة رسائل،ومن بين ما كان في هذه الرسائل ما دل على أن بلونيس موجود في منطقة الخرزة لأنه كان له أصدقاء في أولاد عامر فتم التخطيط لهذا الموقف.

وفي هذه الأثناء ومن اجل تأمين بلونيس ضربت فرنسا حصارا على مسافة 100كلم ما بين بوسعادة والجلفة وقامت بتشديد الرقابة لاسباب منها:

- تخوفها من وقوع السلاح الذي أخذه بلونيس في يد الجبهة.
- انتشار خبر أن جيش عمر إدريس دخل من جهة مناعة.

ورغم ذلك فقد تم أخذ السلاح الذي كان موجها إلى بلونيس الذي يقول عنه البار المبخوت أن فرنسا هي التي قتلته،وعلى ما يبدو أن هذه الرواية في قضية بلونيس لم أنها لم تتطرق بالتفصيل في الموضوع وخاصة تلك المفاوضات التي كانت بين بلونيس والعقيد شعباني من حيث محتواها.

3/ موقف عمر إدريس وجماعته من تنظيم الولاية السادسة بعد قدوم العقيد الحواس من تونس.

كانت الولاية السادسة (3) قد تقرر إضافتها في مؤتمر الصومام 20أوت1956 حيث كانت مناطقها من قبل تابعة للولايات الأخرى،فقد تم تعيين رؤساء المنطقة التاسعة والمنطقة الثالثة للولاية الأولى كنواب للولاية السادسة،وربما كان هذا الإجراء بعد اللقاء الذي جمع بوصوف بعمر إدريس في المغرب.

لكن بعد قدوم العقيد الحواس من تونس كان قد كلف بتنظيم الولاية السادسة بحيث تكون المنطقة الأولى والثالثة تابعة للولاية الأولى أما جماعة البار المبخوت فتبقى تابعة للمنطقة التاسعة واستمر هذا الوضع إلىغاية سبتمبر 1958 وتزامن ذلك مع إنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أين تقرر تقسيم الولاية السادسة إلى نواحي،قسمات،مناطق ...الخ.وهذا ما يبرز لنا أن العقيد الحواس بعد قدومه من تونس أقر تنظيمات جديدا للولاية على تلك التي كانت موجودة من قبل.

4/التسليح وجمع التبرعات والتموين في الولاية السادسة:

إن التسليح في الولاية السادسة شانه شان التسليح في باقي الولايات الأخرى،ففي البداية كان مصدر الأسلحة في هذه الولاية من عند المواطنين (4) جلبها أفراد من الصحراء الليبية،ثم بعد تشكل الجيش في الولاية سحب الأسلحة لتصبح تحت إشرافه إضافة إلى ذلك السلاح الفرنسي الذي تم الاستيلاء عليه عن طريق الكمائن أو الهجومات على المراكز الفرنسية مثل مركز عين الريش 1956 (5) وبما أن محدثنا التحق بالثورة سنة1958 لذلك صرح أنه لم يشارك في هذه العملية وإنما كان يسمع عنها فقط.

ومع أواخر 1959 خزن السلاح الذي جلب للولاية السادسة من الخارج بسبب نفاذ الذخيرة وكان بالإمكان جلبها لكن بخسائر أكبر،وهنا نشطت المخابرات الفرنسية التي وضعت المتفجرات داخل الأسلحة فيقول الشاهد:<< وبعد مدة أصبحنا نعرف كيفية التعامل مع هذه الأسلحة لأن المتفجرة ثقيلة إذا وضعت في السلاح >>.

وفيما يخص المدن القريبة من أجل التموين فقد كانت بوسعادة والجلفة والأغواط أما قبل قدوم بلونيس إلى المنطقة فقد كانت أولاد جلال وأولاد ريغ (ورقلة) وعين صالح والأغواط .

5/ قيادة البار المبخوت للقسمة 39 وطريقة تسييرها (المعارك،القضاء،النظام ...)

بعد تولي المجاهد البار المبخوت للمهام في القسمة39 كانت الأمور تسير على النحو الآتي:

- المعارك: يمكن أن يكون هو شخصيا قائدها أو تعطى الأمور إلى مسؤول آخر.
- النظام: كانت المهام موزعة ومقلدة بإحكام بين كل من الإخباري والسياسي والعسكري ومسؤول التموين.

●القضاء: كان القاضي شعبي وإذا كانت القضايا المطروحة كبيرة أرسلها إلى الجهات العليا في الثورة ' وغالبا ما كانت المشاكل تحل بين المواطنين (بين المدنيين) أما إذا كانت القضايا المطروحة تخص الثورة فلابد من حلها عسكريا أي يتكلف بها مجلس القسمة وإذا تعذر عليه الأمر أرسلها إلى السلطات العليا.

6/ قضية استشهاد العقيد الحواس وعميروش ومشكلة الطيب جغلالي:

كان صاحب الرواية في جبل مناعة عند وقوع هذه الكارثة في الثورة التحريرية ولم يحضر إلى الاجتماع الذي كان بين العقيد الحواس وجماعته،وهي خسارة كبرى للولاية السادسة والولاية الثالثة،فبعد جمع الإطارات ومنهم محمد بوقرة مسؤول الولاية الرابعة كان الاجتماع الذي توفي فيه العقيد الحواس وعميروش(6) وذلك بجبل ثامر.

وارتبط بهذه الحادثة اسم الطيب جغلالي الذي جاء من الولاية الرابعة المنطقة الأولى إلى مناعة ثم ذهب إلى المنطقة الثالثة والرابعة بالولاية السادسة وكانت الشكوك تحوم حوله في قضية اغتيال العقيدين فيقول عنه صاحب الرواية <<أن الطيب جغلالي أعدم ولم يقع في كمين كما ذكر ضباط الولاية السادسة >>.

ويبدو أن موقف محدثنا من هذه القضية هو أن مسؤولي الولاية ارتكبوا خطأ فكان الموقف يحتم عليهم إرسال الشخص إلى القيادة من أجل محاكمته.

وبقيت الأمور يكتنفها الغموض بعد ذلك فبحكم القرابة التي بين محدثنا من مسؤول المنطقة سليمان لكحل الذي كان دوما يؤيد خيانة الطيب جغلالي فيقول << يقول لي ارتكب وارتكب ولا يقول ماذا فعل ...>>.

ومن خلال التعمق في هذه القضية استنتجنا مشكلا آخر وقع بالولاية الرابعة بعد ذهاب جماعة إلى ديغول للتفاوض معه من أجل الاستقلال فالمجاهد المبخوت لم يعتبر هذا خروجا عن إطار الثورة ورغم ما فعله هؤلاء إلا أنهم نهضوا بالولاية الرابعة من الانهيار وبالتالي انقضوا الثورة <<وإذا التاريخ لم ينصفهم فهو إجحاف في حقهم >>.

ومن قادة الولاية الرابعة كان إسماعيل زعمومالذي قال في قضية الطيب جغلالي أنهم أرسلوه للمحاكمة عند القيادة فوقع في كمين فرنسي وهنا صرح البار المبخوت قائلا:

<< زعموا أنه سقط في كمين وعلمه عند الله فكان ضباط الولاية الرابعة أذكى من ضباط الولاية السادسة في إعدام الطيب جغلالي >>(7).

7/ أهم أعمال البر البار المبخوت في الناحية الثانية (منطقة الجلفة) (8):

كانت الناحية الثانية تظم أربع قسمات وهي القسمة 38 – 39- 40- 41 فقد كان البار المبخوت هو المسؤول الأخير لهذه الناحية وقام بأعمال منها ما يلي :

- في جويلية 1961 كان مسؤول الناحية الثانية التي تضم ثلاثة ملازمين كل واحد له مهمته وهم: ملازم إخباري،الملازم العسكري،والملازم السياسي.
- وفيما يخص النظام فقد كان محكما وصعبا وقانون النظام من الملازم إلى المراتب العليا يحمل معه القانون في حقيبته فيعرف لما له من واجبات وحقوق ويقومون باجتماعات دورية تتخللها التقارير التي ترسل إلى المنطقة.

– أما بالنسبة للعمليات فكانت في بداية الأمر بالولاية السادسة عبارة عن أفواج ونجحت في عدة معارك وفي أواخر 1957 وبداية 1958 بدأ العمل بنظام الكتيبة وعند عدم إثبات نجاحها تم اللجوء إلى وحدات صغيرة جدا من أجل سهولة التحرك والتموين (9)

ومن بيت العمليات التي شارك فيها البار المبخوت عملية بالناحية الأولى بعد ربط الاتصالات مع عمورة في جهة الصحاري والعملية الثانية كانت بالناحية الثانية من اجل قتل القائد "توا" (10) الذي كان ينقل أخبار الشعب ويدعي العمل مع الجبهة فنصب له كمين وقتل مع جنوده،كما شارك صاحب الرواية في القضاء على جماعات بلونيس التي يقودها شراق سليمان وغيره.

8/ مصير مجموعة بلونيس:

إن وصول جماعة بلونيس إلى طريق مسدود جعلهم يفكرون في المصير المنتظر هل هو إلىجيش التحرير الوطني أم إلى مصير آخر؟ فكثير منهم حمل أسلحته وجاء إلى الناحية الثانية ومعظمهم من المجموعة التي انقلبت على عمر إدريس (11) ومن هؤلاء عبد القادر عمامر لطرش والذي توفي في دار الشيوخ أما مفتاح وجغلاف فأرادا التفاوض مع العقيد الحواس الذي لم يفاوضهم وقام بذلك العقيد محمد شعباني الذي تفاوض مع مفتاح حيث صرح شعباني قائلا: <<إذا أردتم تسليم أنفسكم تعالوا أهلا وسهلا >> وكان شرط هؤلاء عند الاستسلام هو عدم إرسالهم إلى أي مكان آخر وانتهت المفاوضات التي لم تنجح وبقيت أربع كتائب وهي:

–الكتيبة الأولى وكان مسؤولها عبد القادر جغلاف فقضى عليهم الضابط مخلوف بن سليم في كمين ببوكحيل أين قتل جغلاف ومفتاح أما بوفاتح فالقي عليه القبض حيا وتم إعدامه

– الكتيبة الثانية مسؤول عنها سلمان شناق تم القضاء عليه في باب مسعود مكان استشهاد30شهيدا (12).

– الكتيبة الثالثة كانت في الزمرة بسيدي عامر قتلتهم فرنسا في 27 مارس 1959 وكان من بين القتلى مسؤول الكتيبة بن دغمان.

– الكتيبة الرابعة يقودها عبد الله السلمي الذي بقي في أولاد عامر بسيدي إبراهيم وقد اتهم بتسليم نفسه للجبهة رفقة بن جدو حينها قامت فرنسا بتصفيتهم.

وهكذا نلاحظ أن جماعة بلونيس قد عوملت على أساس أنها جماعة مارست الخيانة أثناء الثورة التحريرية لذلك كان مصيرها هكذا بين قتيل ومحاكم تم إعدامه فيما بعد بالولاية السادسة.

9/ أجواء الفرحة بالاستقلال:

كانت الفرحة عارمة على مختلف التراب الوطني بما في ذلك الولاية السادسة التاريخية أين تم سماع الخبر عن طريق المذياع بتاريخ وقف القتال ولم تأت أي اتصالات أو كتابات رسمية حسب الشهادة محل الدراسة،وربما كان ذلك بغرض التزام الضباط بالولاية بأماكنهم والمواقع المحددة لضمان السير الحسن في حالة حدوث أي طارئ،وقد كان الاحتفال الأول في مدوكال عند العقيد شعباني << أما الاحتفال الثاني في الشارف عندي في الناحية

الثانية >> يقول البار المبخوت الذي كان متواجدا بالجبل بالجلفة عند إعلان وقف إطلاق النار بتاريخ 19مارس1962حت تاريخ الاستقلال.

وأثناء الفترة الانتقالية في حكم عبد الرحمان فارس مثل الجلفة شخصية من سور الغزلان يدعى بركات (13) الذي جاء إلى المنطقة الثالثة،هذا مع الإشارة إلى وقوع بعض المشاكل بالولاية السادسة أثناء وقف إطلاق النار سواء مع جيش الاحتلال أو ما بقي من جماعة بلونيس حيث قال البار المبخوت << لم ننتبه إليهم كنا منشغلين بفرحة الاستقلال>>.

الخاتمة:

من هذه الشهادة الحية لشخصية البار المبخوت التي حملت صفة مسؤول القسمة 39 ومسؤول الناحية الثانية بالولاية السادسة أواخر الثورة التحريرية اتضحت لنا بعض النقاط التي كان يكتنفها الغموض في زوايا متعددة ' فقد قدمت لنا صورة عن إنشاء الولاية ثم كيفية التعامل مع جيش بلونيس وجماعاته كحركة مناوئة للثورة وصولا إلى تنظيم الولاية بعد قدوم العقيد الحواس وطرق جمع الأسلحة والمئونة وطريقة قيادة وتنظيم المنطقة الثانية من حيث النظام والقضاء والعمليات العسكرية ...الخ إلى جانب ذكر بعض من القيادات التي ساهمت في تسيير الولاية السادسة .

ومن هنا يمكن اعتبارها رواية شفوية كشفت الغموض الذي لم تتناوله الكتابات والمصادر التاريخية أو حاولت الكتابات الفرنسية توجيهه وفق ما يخدم أغراضها.

ونختم المداخلة بما ختم به البار المبخوت حواره حيث قال:<< بقيت ستة سنوات في الجبل،لم يكن لي شك في الاستقلال وانتصار الثورة،كانت لدي من 5الى 10في المائة أن أبقى على قيد الحياة والكثير مقتنع بذلك،أدينا دورنا وعلى الأجيال القادمة لابد عليها من التطلع للمستقبل،كانت قضية دفعنا فيها حياتنا ونحن الذين كنا مع بعضنا والآخرين ضدنا ... لأني أرى بعض الصحف بدأت بمحاكمة التاريخ من جديد وليس من مصداقيتهم >>.

وفي الأخير نوجه دعوة إلى المزيد من الاهتمام بالروايات الشفوية وتسجيلها وتوثيقها بطرق علمية لأنها أصبحت ضرورية في كتابة تاريخ الثورة في ظل غياب المصادر والشواهد التاريخية وقبل رحيل هذا الجيل الصانع لأحداثها.

الهوامش:

(1): القسمة 39 تضم عرش عولة،أولاد سيدي أحمد،أولاد أم هاني،وأولاد لعزير من جهة الشارف والزعفران التابعة للجلفة كان المجاهد البار مسؤولها .أما القسمة 40 تظم من الدويسإلى الأغواط في حين القسمة 35 كانت تظم مناعة و فيها أولاد عطية وأولاد علي بن أمحمد وقسمت بين المنطقة الثانية والثالثة من بوسعادة إلى الجلفة جنوب المنطقة الثالثة وشمال المنطقة الثانية .

(2): محمد بلونيس من مواليد برج منايل سنة 1912 التحق بحزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ثم انضم إلى الحركة الوطنية التي أسسها مصالي الحاج وقاد جيشا ضد جيش التحرير الوطني

توفي سنة 1958. للمزيد ينظر: جريدة المحور،حوار مع زوجة بلونيس،العدد 84،24 فيفري 2012،ص ص 4-5.

(3): للمقارنة مع هذه الرواية الشفوية ومزيدا من الاطلاع عن الولاية السادسة للثورة التحريرية ينظر:دروازالهادي: الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954-1962 ' ط1' دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2002.

(4): من نوع ستاتي وخماسي وبعض الأسلحة الأمريكية.

(5): تم أيضا الاستيلاء في هذه العملية على أجهزة اتصالات ومذياع فيقول المجاهد البار المبخوت <قمنا باتصالات،كانت الاتصالات داخليا في وقت سي زيان وكان مذياع عمورة أخذه بالهادي >.

(6): عن دور عميروش في الثورة يراجع: شوقي عبد الكريم: دور العقيد عميروش في الثورة التحريرية،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2003.

(7): من بين ضباط الولاية السادسة الذين ذكرهم المجاهد البار المبخوت المشاركين في قضية الطيب جغلالي نجد: علي بن المسعود، محمد بن القاضي المدعو بوصبيعات ، محمد شعباني وسليمان لكحل ويقف ضدهم في قضية إعدامه وقال بان الطريق التي سلكوها خاطئة وانه أتى باسم النظام فيرسل للنظام قصد محاكمته .

(8): من الشخصيات التي قادت الكفاح أيضا كان زيان عاشور أيضا للمزيد ينظر: قذيفة عبد الكريم: زيان عاشور العالم الزاهد والبطل المجاهد، ط2، دار الوسيط للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2011.

(9): للاطلاع على نظام جيش التحرير ينظر: بسام العسلي: جيش التحرير الوطني، ط2، دار النفائس،بيروت،1986.

(10): سمي توا لأنه يتكلم تونسي وكان ينقل الأخبار من شخص يدعى بولحية من جهة الأغواط.

(11): كان عددهم يفوق 1200 شخص حسب رواية البار المبخوت.

(12): للاطلاع على حركة بلونيس ينظر:

Philip gaillard : l'alliance Laguerre d,algerie du général bellounis1957-1958

(13): بركات سجين فرنسي هرب من السجن إلى المنطقة الثالثة وهو شخصية مثقفة.